

الحلقة العشرون

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن مثل الوكيل الخائن الذي عندما علم أن موكله يريد عزله، ذهب وبدل الصكوك على المديونين، لكي يضمن مستقبله. وهدف المثل أن يكون الإنسان أميناً في كل نواحي حياته.

مستمعي الكريم، بالطبع هناك فرق بين رد فعل مجرم أعفي من حكم صدر عليه بالموت، وبين مجرم آخر أُفْرَجَ عنه من السجن قبل أن يُكْمَلَ مدة محكوميته. فالأول أُعيد إلى الحياة بعد أن كان متوقفاً بالموت، بينما الثاني أُخرج من السجن دون أن يقضي بقية السنوات التي حُكِمَ بها.

حول هذا الموضوع - أي اختلاف رد الفعل - تحدّث المخلص المسيح بمثل هام من واقع الحياة. وكان المسيح قد دخل بيت أحد الفريسيين، وهي جماعة يهودية متزمتة. « وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِنَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُنْكِيٌّ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةٍ طَيِّبٍ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِئَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبْلُ قَدَمَيْهِ بِالذُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمَسْحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتَقْبَلُ قَدَمَيْهِ وَتَدَهْنُهُمَا بِالطَّيِّبِ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْامْرَأَةِ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِنَةٌ.»

فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَمْعَانُ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ.» فَقَالَ: «قُلْ، يَا مُعَلِّمُ.» قَالَ الْمَسِيحُ: «كَانَ لِمُدَايِنِ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسِينَ دِينَارًا وَعَلَى الْآخَرِ خَمْسُونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامِحَهُمَا جَمِيعًا. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟» فَأَجَابَ

سَمِعَانُ وَقَالَ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالْأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ». ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسَمْعَانَ: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا». ثُمَّ قَالَ لَهَا: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ...»
«إِيمَانُكَ قَدْ خَلَّصَكَ، إِذْهَبِي بِسَلَامٍ» (بشارة لوقا ٧: ٣٧-٤٤، ٤٧-٤٨، ٥٠).

صديقي المستمع، لقد احتجّ الفريسي في قلبه على المسيح كيف قبل أن تأتي إليه امرأة خاطئة وتبلّ قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب. وهو ظنّ أن المسيح لو كان نبياً لرفض أن تقترب منه هذه المرأة الخاطئة. لكن المسيح ولكونه كلمة الله الأزلي، المولود من روح الله، كان يعلم بالطبع من هي هذه المرأة الخاطئة، لا بل عرف ما فكر به هذا الفريسي. لهذا أجابه بمثل تحدّث فيه عن مديونين، أعفاهما صاحب الدين. كان أحدهما مديون له بخمسة دنانير وهو مبلغ ضخم في تلك الأيام، والآخر بخمسين ديناراً. وعندها سأل المسيح الفريسي قائلاً: «أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟» فَأَجَابَ سَمْعَانُ وَقَالَ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالْأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ». أي كشف المسيح لهذا الفريسي السبب الذي جعل هذه المرأة الخاطئة الزانية، أن تقوم بهذا العمل الذي تعبّر فيه عن حبّها الشديد للمخلص المسيح.

لقد كانت هذه المرأة تحت تأثير تبكيت الضمير، من جراء ثقل خطاياها. ولهذا توجّهت إلى المسيح المخلص واثقة أنه سيغفر خطاياها الكثيرة، وكانت محقّة في ذلك. إذ نجد المسيح يقول للفريسي: « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا». ثم توجّه المسيح للمرأة الخاطئة نفسها وقال لها: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ...» «إِيمَانُكَ قَدْ خَلَّصَكَ، إِذْهَبِي بِسَلَامٍ». أجل، لقد علمت هذه المرأة الخاطئة أن المسيح المخلص سيغفر خطاياها، ولهذا عبّرت عن عميق حبّها له سلفاً. وكما قال المسيح: لقد أحببت كثيراً، لأن خطاياها المغفورة كانت كثيرة.

صديقي المستمع، لنلاحظ أن المسيح غفر خطايا هذه المرأة الكثيرة، لكنه لم يغفر خطايا سمعان الفريسي الذي ظنّ نفسه أنه إنسان صالح وليس بحاجة إلى الغفران. وهذه مشكلة هامة يواجهها الكثيرون إذ يظنون أنهم ليسوا خطاة، أو أن خطاياهم قليلة ولا تستحق أن يطلبوا الغفران من الله عنها. إن الادعاء بالصلاح أو ما نسميه بالبر الذاتي هو من أخطر الأمور التي تعيق الإنسان عن طلب غفران الله. وفي هذه الحالة يفقد المرء الفرصة الذهبية التي يقدمها له الله، لكي يطلب الغفران عن خطاياها. وبالتالي يبقى خاطئاً ومستحقاً لدينونة الله.

ومن ناحية أخرى كما ذكر المخلص المسيح في هذا المثل إن رد فعل الإنسان الذي كانت خطاياها كثيرة جداً على غفران الله له، هو الحب الجارف والشعور الكبير بالامتنان لله. إذ ليس سوى من يدرك عمق خطيته يمكنه أن يقدر الغفران الكامل الذي يهبه له الله. لكن هذا لا يعني أن الإنسان الذي خطاياها عادية، لن يشكر الله على الغفران الذي يهبه له. لكن مستوى محبته لله، قد تكون أقل من ذلك الشخص الذي كانت خطاياها كثيرة، كما ذكر المسيح في مثل المديونين.

لكن ماذا عنك صديقي المستمع؟ إن الله مستعد أن يغفر خطاياك سواء كانت قليلة أم كثيرة. أجل، لقد ظهرت محبة الله لنا نحن البشر الخاطئة، بموت المسيح الكفاري على الصليب، وأخذة عقاب خطايانا عوضاً عنا. ولهذا كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: « وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا » (الرسالة إلى رومية ٨:٥). وعندما تأتي مستمعي إلى الله بالتوبة عن خطاياك سواء كانت كثيرة أم قليلة، وتؤمن بموت المسيح الكفاري على الصليب، فإن الله سيغفرها لك، وينقذك من الدينونة الأبدية. فهل تراك مستمعي تأتي إلى الله بالتوبة والإيمان؟ وعندها تشكر الله على محبته وغفرانه!